[1]الــذات تلد جمهرة من الخطايا

1- لعل أول خطية للأنا هي الأنانية:

وفيها الإنسان يتمركز حول ذاته، لا يفكر إلا فيها هي، وأن يكون لها كل ما تريد. وفي ذلك يفضـلها على الكل. فإذا اصطدمت ذاته بمحبة إنسان، يفضِل ذاته على هذا الإنسان. وإن تعارضت رغبات ذاته مع بعض المبادئ أو القيم، فإنه يضـحي بكل المبادئ والقيم لكي يحقق ما ترغبه ذاته. بل إن اصطدمت ذاته بمحبة الله أو بطاعة وصاياه، فإنه يفضلها على كل وصايا الله، ويكسـر تلك الوصايا لأجلها.

وطبعًا لكل هذا نتائجه في حياته بصفة عامة...

2- أيضًا المحب لذاته قد يصبح لحوحًا يتعب غيره:

إنه يريد أن ينفذ فكره أو رغبته بكافة الطرق وبكل سـرعة! لذلك يلجأ إلى الإلحاح الشديد الذي يتعب أعصاب غيره، وذلك بتكرار الطلب، والضـغط على تنفيذه الآن، وكما هو، وبسـرعة، مهما كانت هناك عوائق تمنع من ذلك، ومهما كان الوقت غير مناسب!! ولكن الأنا تريد، ولا يهمها إحراج من تطلب منه، أو إعاقته عن عمله... وإذا اعتذر، لا يهمها عذره، وتعاود الإلحاح مرة أخرى، وتضغط...

وبهذا يصبح التعامل مع مثل هذه الأنا صعبًا جدًا...

3- والذات تقود كذلك إلى الرياء:

فالـذي يحب ذاته، يريـد أن الناس يرون هـذه الـذات في أجمل صورة، وأن يراه الناس على غير حقيقته، فيبدو أمامهم فاضـلًا وبارًا، مهما كان في داخله عكس ذلك، ومهما كانت له خطايا مخفاة! وهكذا ينال منهم مديحًا لا يسـتحقه. وهو لا يهمه التقدير الحقيقي لذاته، إنما يكفيه المظهر الخـارجي مهمـا كـان خادعًـا للناس. وكل هـذا رياء. على أن الرياء لابـد أن ينكشف ولو بعـد حين. وكما قال الشاعر: ثوب الرياء يشف عما تحته... فإذا التحفت به فإنك عارٍ

4- وفي سبيل محبة الذات يقع أيضًا في الكذب:

والمعروف أن الكذب هو غطاء للذات، تغطي به أخطاءها ونقائصـها، حتى لا تنكشف أمام الآخرين. فتنكر ما فعلته من خطأ. وإن انكشف إنكارها، تخفيه بكذب آخر... وهكذا لكي تبدو ذاتها بلا عيب!

كذلك قد يكون الكذب أحيانًا هو وسيلة الذات التي توصلها إلى أغراضها. فتلتمس الحيل وتخترع الأسباب لكي تصل إلى ما تريد...

وسواء كان الكذب هو وسيلة للذات في أغراض آثمة تريدها، أو لإخفاء أمور آثمة لا تحب أن تنكشف... فالذات هي الدافع في كليهما...

5- ومحبة الذات تكون بعيدة دائمًا عن العطاء والبذل وخدمة الآخرين:

فالـذي يحب ذاته لا يريـد أن يعطي، لأنه باسـتمرار يريـد أن يأخـذ ويزداد، لا أن ينقص ما عنده بالعطاء، وإن حدث أنه أعطى في يوم ما، إنمـا لكي يأخـذ من وراء ذلـك مـديحًا أو سـمعة طيبـة، وليس حبًـا في النـاس وإراحتهم. وهـو لا يعرف خدمـة الآخرين، لأنه لا يحس باحتياجـاتهم بسـبب تمركزه حول ذاته. وإن دخـل ذات يوم في مجالات الخدمـة العامـة، فلا يكون ذلـك إلا بحثًا وراء السـلطة والشـهرة والنفوذ والمظهر الخارجي، لكي ينال اسمًا في المجتمع!!

6- ومحبة الذات تقود إلى الانفراد بالسلطة:

فمحب الذات إذا دخل في إدارة ما، يريد أن يجمع كل السـلطات في يديه. ويقول لا يتم شـيء إلا بإذني وبمشورتي وفكري. فالقرار هو قراري، والتدبير هو تدبيري، وهكذا لا يشرك معه أحدًا في النفوذ. يذكِّرنا بإمبراطور فرنسا الذي قال L'Etat est moi أي الدولة هي أنا.

وهكذا فإن الحكم الديكتاتوري في التاريخ أساسه الذات، لأنه حكم الفرد الواحد، أي الذات المنفردة بالسلطة...

7- والمحارب بالأنا من الصعب أن يتعاون مع أحد:

لأنه يريد أن عقله هو الذي يسود. فالمتعاون معه إما أن يكون خاضعًا لفكره أو على الأقل متماشيًا معه، وإلا يصطدمان أو ينفصلان! أيضًا من الأنا وعنادها تتولد الانقسامات والصراعات...

ومن الأنا تتسبب الخلافات العائلية، حيث يتمسك كل فرد برأيه. وقد يصل الأمر إلى المحاكم والقضايا، وما يسبق ذلك من شقاق وشجار وانفعال. وفي كل ذلك لا يفكر أي شخص في سعادة غيره ولا في إرضائه. بل هي الذات التي لا تفكر إلا في راحتها، ولو تبني راحتها على تعب الآخرين! ولا تفكر إلا في كرامتها هي وحقوقها سواء كان ذلك داخل الأسرة أو خارجها. بل من الذات أيضًا تتسبب الحروب، ولكن على مستوى الدول...

8- والمحارب بالذات، ما أسهل أن يصير عدوانيًا:

فيقف موقفًا عدوانيًا ضد كل من يقف في طريق ذاته موقفًا معارضًا أو منافسًا، أو من يظنه كذلك. ذلك لأنه لا يحب أن ينافسه أحد! لذلك فإن معارضة الغير له تسبب له غضبًا، ويتحول الأمر إلى خصومة. وتشتد الخصومة فتتحول إلى حقد. ذلك لأنه لا يستطيع أن يغفر الإساءة بسهولة! وإذا طال الوقت، وشعر أن ذاته لم تنل حقها... حينئذ قد يفكر في إرضاء ذاته بالانتقام. وهنا يصبح عدوانيًا...

ولا شك أن كل جرائم الأخذ بالثأر سببها الذات.

9- الإنسان الواثق بذاته، يفرض هذه الذات وطلباتها على الله نفسه!

فهو لا يقول للرب في صلاته "اكشف لي يا رب ما تريد في أن أفعل... ولتكن مشيئتك". ولا يطلب إرشاد الله له، إنما يفرض على الله طلباته!

وكأنه يقول "هذا الموضوع الذي أعرضه اليوم عليك يا رب: أنا قد درسته جيدًا. وبقي عليك أن تنفذه لي. وأن تفعل كذا وكذا لي!! وليس فقط يفرض مشيئته على الله دون أن يطلب معرفة مشيئة الله! بل بالأكثر يطلب أن يكون ذلك بسرعة وبغير إبطاء!! وهو أيضًا يراقب أعمال الناس، ويحاول أن يفرض إرادته عليهم!

10- والذي يحاول أن تكبر ذاته في عينيه، يتخيل ذلك في أحلام اليقظة:

وهي محاولة لتكبير الذات ولو في عالم الخيال. أو هي صورة للذات التي لا يشبعها الواقع الذي تعيش فيه، فتلجأ إلى إشباع ذاتها بأحلام اليقظة. فتتخيل أنها صارت كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا. ونالت من الناس ألوانًا من الإعجاب والتوقير والتمجيد!!

وهكذا تعيش في جو من المجد الباطل . ثم تصحو منه لترى أنه ليست لها القدرة لتصل إلى ما تخيلته في أحلامها!!Vainglory

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة الأهرام بتاريخ 22-10-2006م